

بِيرَانُون (بِيرِنُون)، من القبائل اللَّكِّيَّة اللِّغَة في لُرستان. ظهرت هذه القبيلة على المسرح السياسي في لُرستان في زمن القاجاريين، وكانت لها مساهمة أساسية في الاضطرابات، وفي مواجهة القاجاريين والبهلويين. على أساس الرواية المحليَّة، البيرانونيون من نسل رجلٍ يُدعى هجياي أو هجالي هاجر من الحجاز إلى لُرستان. جاء من الحجاز إلى منطقة دلفان، وأقام لدى بابا بزرک [الجدّ]، الذي بات قبره حالياً مزاراً أهل الحقّ: وتزوَّج ابنة أحد أعيان دلفان، المدعوّ **توشمال** [= كدخدا/رئيس] العلويّ، وأنجب ولدين سَمَّاهما بيران¹ و باجول²، الأوّل هو الجدّ الخامس عشر لقبيلة بيرانون والثاني مؤسس قبيلة باجولوند* أو باجلان، لكنّ وفق ما كتبه واليزادة معجزي (ص 311): جاء منذ عدّة قرون إلى دلفان شخصٌ من شبه الجزيرة العربيَّة يُدعى هجياي، ويقال أنّ هذا الاسم تصحيفٌ لكلمة "حجازي"، بمعنيّة أحد الدعاة العلويين، هو على الأرجح من دعاة أهل الحقّ، وصاحب البقعة المشهورة باسم "بابا بزرک" [الجدّ]، وقبره في منطقة كاكاوند دلفان. على أساس ما كتبه أهل الحقّ، كان بابا بزرک يعيش في القرن الخامس الهجريّ (صفي زادة، ص 85-86)، في حين أنّ هجياي، الذي هو الجدّ السادس عشر للبيرانونيين، عاش في النصف الأوّل من القرن العاشر الهجريّ، أي في زمان سلطنة الشاه إسماعيل والشاه طهماسب الأوّل (931-984هـ). على أساس رواية راولينسون في العام 1252هـ/1836م، جاء البيرانونيون والباجلانيون في القرن الثاني عشر الهجريّ، أي في أواخر العصر الصفويّ، أو في عصر الأفشاريين، من نواحي الموصل، ولجأوا إلى لُرستان (ص 152). وروى نقلًا عن لسان الميرزا بزرک، حاكم لُرستان، أنّ هاتين العشيرتين كانتا تؤدّيان ضرائب قليلة، لكنّ في المقابل كانوا قد قدّموا إلى الحاكم 1500 رأس خيل. تدلّ دراسة مشجّرة نسب البيرانونيين أنّ سفر راولينسون إلى لُرستان، حدث في عهد زين العابدين خان، من الجيل الخامس بعد بيران، وكان عدد الرجال البيرانونيين أقلّ من 150 نسمة؛ لكنّ على أساس السجلّ الضريبيّ الذي وضعه الميرزا بزرک في متناول راولينسون، كان العدد الإجماليّ للبيرانونيين 2500 عائلة (م.ن، ص.ن). ما من دليل يُثبت عدم صحّة هذا الرقم، إلّا إنّ كان راولينسون قد أخطأ في ضبط معلوماته وتنظيم ملاحظاته. فمن ناحية تحدّد مشجّرة البيرانونيين علاقة نسب جميع بطوهم الحاليّة ببيران. ربّما كانت هذه العائلات تضمّ في صفوفها حوالي 12,000 نسمة من غير البيرانونيين، كانوا قد التحقوا بهم.

في كلّ الأحوال، الأصل المكانيّ والعرقّيّ للبيرانونيين غير محدّد على نحو دقيق. على الرّغم من أنّ تاريخهم الشفويّ ينسبهم إلى العرب، يرى كاتب هذه المقالة أنّهم في الأصل من القبائل اللَّكِّيَّة اللِّسان،

¹ -Bairôn

² -Bâjül

ويجب البحث عن موطنهم الأصلي في المناطق الحدودية الغربية داخل إيران أو خارجها. على أساس التاريخ الشفوي، كان هؤلاء يعيشون قبل العصر الأفشاري في دلفان. لكن يُقال، أن نادرشاه لقاءً مساعدتهم له ومعهم الدلفانيون والباحلانيون، في محاربة العثمانيين، وهبهم قسمًا من أراضي بشتكوه وقسمًا من منطقة سيلاخور. بناءً على ذلك، يجب أن يكون البيرائونيون قد غادروا منطقة دلفان في عهد نادرشاه. إلى هنا يكون انتقالهم من منطقة دلفان إلى سيلاخور وبشتكوه قد بات محددًا، لكن قبل أن نتكلم على اتساع حدود منطقة تواجدهم في العصور اللاحقة، من الضروري أن ندرس كيف تمت هجرة القبائل اللكية اللسان، ومن ضمنها دلفان وسلسله، وبيرائون إلى لرستان.

في الأصل، بدأت هجرة هذه القبائل إلى لرستان منذ عهد الشاه عباس الصفوي (996-1038هـ). فقد أقدم الشاه عباس، لإضعاف شاهورديجان، آخر أتابك قوي في لرستان، في العام 1002هـ، على تهجير حوالي مائتي عائلة من العوائل اللرية الداعمة له، والتي كانت "زبدة ذلك الشعب" إلى "ولاية خوار في الرّي" (أفوشته ئي، ص 494-495). وفي العام 1006هـ/ بعد إعدام شاهورديجان وتعيين حسين خان واليًا مكانه، دعا سراة لرستان إلى وليمة تحت أشجار الدلب في حرم آباد، وقام بقتل كلّ المخالفين لتولية حسين خان، عن بكرة أبيهم (المنجم اليزدي، ص 159-160). مع ذلك، لم يكفّ أعداء حسين خان عن معارضتهم. وكانت النتيجة، أن الشاه عباس رحّل قبيلتي سلسله ودلفان من ماهيدشت كرمانشاه إلى لرستان، دعمًا للوالي حسين خان (رايينو، ص 10-11). قامت هاتان القبيلتان اللتان كان في صفوفهما البيرائونيون على الأرجح، تدريجيًا بالاستيلاء على أراضي بعض القبائل اللرية مثل: كوشكي، وساكي، وتشغني* / تشغيني، ومافي وأمراي وغيرها.

في عهد كريم خان الزندي، رُحلت العشائر: بيرائون وباجلان وبهاروند* إلى شيراز. لكن أيا من مؤرّخي العصر الزندي لم يُشر إلى هذا الموضوع. عادت هذه العشائر بعد سقوط الزندية إلى لرستان، وبما أن الآغا محمد خان القاجاري كان في ذلك الحين قد هجر الشغنيين من منطقة هرو إلى نواحي قزوین، وجدوا الأرضية مهيّدة للاستيلاء على منطقة هرو. أدى إضعاف الحكم القاجاري في لرستان والذي ساهم فيه البيرائونيون، إلى جرّ المنطقة هذه إلى الفوضى. والبيرائونيون الذين كانوا قد أصبحوا قبيلةً قويةً في تلك الآونة، ومصدر قلقٍ للقاجاريين، لم يكتفوا بذلك وإنما استولوا على أراضي القبائل الأخرى مثل تشغني وكوشكي، وساكي، وعلى قسمٍ من أراضي سلسله، وعلى بعض قرى بروجرد أيضًا، وتاليًا باتت في حوزتهم منطقة واسعة من لرستان (← رزم آرا، ص 74-77).

بعد الثورة الدستورية تدرّج البيرائونيون بتردي الأوضاع، وأثاروا الفتنة في المنطقة إلى درجة أنّهم كانوا يمنعون دخول الحكّام المبعوثين إلى خرّم آباد (والزيادة معجزتي، ص 332؛ فوفريه، ص 275). استمرّ هذا الوضع إلى حين سقوط الحكم القاجاريّ، إلى أن تمكّنت الحكومة المركزية في السنوات من 1924م/1942هـ حتّى العام 1927م/1345هـ، بعد إرسال الجيش وسنواتٍ من المواجهات الدموية أن تقمّعهم وتضع حدًّا لتمردهم (← أمير أحمددي؛ شاه بختي، أمكنة متعدّدة). قامت الحكومة بعد ذلك بنفي أعداد كبيرة منهم إلى خراسان، وعددٌ كبير من خوانيينهم أُعدموا أو أُدخلوا السجن، ومن تبقى من القبيلة أُجبروا على الاستقرار في مكان واحد. في العقود الثلاثة الأخيرة هاجر معظم البيرائونيين إلى خرّم آباد، وأقاموا فيها.

لم تأت المصادر العائدة إلى ما قبل الحكم القاجاريّ على ذكر البيرائونيين، إنّما هنالك إحصاءات متناقضة حول أفراد القبيلة طيلة الحكم القاجاريّ والحكم البهلويّ. أوّل من أورد إحصاءً للعائلات البيرائونية هو راولينسون، الذي ذكر أنّ عددها في العام 1252هـ/1836م، حوالي 2,500 عائلة، 1,500 عائلة منها من فرع آيوند (الآلاهيينون)، وألف عائلةٍ من فرع دشيوند (الدشائينون) (ص 152). بعد راولينسون قدّر الحاجّ ميرزا عبد الغفار نجم الدولة، الذي زار لرستان في العام 1299هـ/1882م، عدد البيرائونيين حوالي ألف عائلةٍ (ص 20). في العام 1300هـ/1883م، ورد في تقرير لأحد الموظفين الحكوميين، يبدو موثّقًا، أنّ عدد العائلات البيرائونية يبلغ ثلاثة آلاف عائلة (جغرافية لرستان وبيشكوه وبشتكوه، ص 142). هذا الرقم لا يتلاءم ومشجّرة البيرائونيين، لكنّ بما أنّ مجموعات كبيرةً مثل مُصّارم، وجنغائي، وفراش، وسغوند، ورُكرك، وبوسي¹، ومميوند، وكرونوكر، وبازغير، قد انضمت إلى البيرائونيين لأسباب مختلفة، يمكننا الموافقة على أنّ معظم هذه العائلة لم تكن بيرائونية أصلية، وإنّما رعايا (هُمسا)، ومثل هذا الوضع حتمًا لا ينحصر في القبيلة البيرائونية وحدها. الإحصاء المذكور الذي يضمّ العائلات البيرائونية وغير البيرائونية يبدو صحيحًا، لأنّ الحكومة القاجارية كانت في ذلك الحين لا تزال ذات نفوذٍ في لرستان، وكان البيرائونيون خاضعين لها. بعد مقتل ناصر الدين شاه في العام 1331هـ/1913م، لم يُعد للحكومة سيطرةٌ تُذكر على البيرائونيين تُمكنها من إجراء إحصاء لجمع الضرائب. الإحصاءات اللاحقة، المبالغُ بها في بعض الحالات، تعود إلى الآونة التي كان البيرائونيون قد تَمردوا فيها، وأثاروا المتاعب، بحيث كان عددهم يبدو على الأرجح أكبر من الإحصاء الحقيقيّ، ممّا جعل ويلسون يقدر عددهم في العام 1313هـ/1895م حوالي عشرة آلاف عائلة (ص

¹ -Bowski

(22)، وهذا الإحصاء يبدو غير واقعي. جاء في التقرير الحكومي لمنطقة بروجرد ولرستان (ت1- أكتوبر 1927م/ربيع الآخر 1346هـ) أن العشيرة البيرائونية كانت إلى سنتين سابقتين 12,000 عائلة و36,000 نسمة، وقد تبعثرت كثيراً، وانقرضت، "وربما تكون ستة آلاف عائلة وثمانية عشر ألف نسمة" (روستائي، ص 35). يدل هذا التقرير غير الموثق، أنه حتى العام 1927م/1345هـ لم يكن في المتناول إحصاء صحيح للبيرائونيين. في العام 1933م/1351هـ ذكر رزم آرا أن عائلات قرى مناطق هرو وقسم من سيلاخور وركده، حيث تقيم عشائر بيرائون ودالوند وآروان، وكاندرحمت وغيرها، تبلغ مجتمعة حوالي 12,184 عائلة (ص 81-87). كان عدد البيرائونيين على الأرجح بين 6,500 و7,000 عائلة. لكننا لا نعلم إن كان هذا العدد يتضمن العائلات المنفية أم لا. مما يؤسف له أن الإحصاءات والأرقام حول بعض العائلات في المصدر المذكور أعلاه ناقصة وغير دقيقة. فقد ورد أن عدد أفراد قبيلة ذلفان حوالي تسعة آلاف عائلة (ص 122-145)، وهذا على الأرجح أقل من الإحصاء الحقيقي.

تقسم قبيلة بيرائون أولاً إلى فرعين: الآلهيين (الآلايينون) والدشائينون (دشى نو) من نسل ابني بيران. خضعت بطون الدشائينين تدريجياً لسلطة خوانين بيرائون من فرع الآلهيين. كان عدد البيرائونيين في العام 1964م/1383هـ، وفق ما سجله علي محمد ساكي (ص 144-148) 17,500 نسمة، أو 3,500 عائلة تقريباً. قدر إيزدبناه (مج 2، ص 222) عدد البيرائونيين حوالي 35,890 نسمة أو 2,726 عائلة، والباحثان كلاهما لم يأخذا في الاعتبار بيرائونيين سيلاخور والمناطق الأخرى. في حدود ما يعلمه كاتب هذه المقالة، لم يُجرَ طيلة العقود الماضية إحصاء دقيق ومتوازن للبيرائونيين. حالياً القبائل انفصلت عن بعضها، والرعايا أو (المهسائون) لا يتبعون البيرائونيين، على العكس مما كانوا عليه في الماضي. لذلك، على العكس مما كان يجري سابقاً، إن أُجريَ إحصاء، سيكون محصوراً بالبيرائونيين الأصليين، أي نسل بيران. فرع مال قباد من هذا القسم هو الأكثر عدداً، ويضم خوانين بيرائون.

تقع منطقة البيرائونيين الدافئة [المشتى] في بشتكوه لرستان، التي تُسمى حالياً إقليم إيلام. تستقر حالياً مجموعة من البيرائونيين (بطن زيد علي) في ماجين في سفح كبير كوه [الجبل الكبير]، وعدد آخر يقيم في حُسينه (منطقة بهاروند الدافئة). مصيف البيرائونيين منطقة واسعة بين حرّم آباد و بروجرد. تضم هذه المنطقة ناحية تشقلوندي، وقسماً من سيلاخور، وأجزاء من ناحية زاغة، وأخيراً ريمله وإسكين وغيرها. فضلاً عن ذلك، لا يزال معظم البيرائونيين يقيمون حتى الآن في حرّم آباد.

المصادر والمراجع: محمود بن هدايت الله أفوشته ئي، نقاوة الآثار في ذكر الأخيار، ط. إحسان إشرافي، طهران 1350 ش [1971م]؛ أحمد أمير أحمدي، اسناد نخستين سبهد ايران [مستندات أول قائد للجيش الإيراني]، ط. سيروس سعدونديان، طهران 1373 ش [1994م]؛ حميد إيزدبناه، آثار باستانى وتاريخى لرستان [آثار لرستان القديمة والتاريخية]، مج 2، طهران 1355 ش [1976م]؛ جغرافياى لرستان، پيشكوه وپشتكوه [جغرافية لرستان، وپيشكوه وپشتكوه]، ط. سكندر أمان اللهى بهاروند، حرم آباد 1370 ش [1991م]؛ هنري كرزيك راولينسون، سفرنامه راولينسون: گذر از زهاب به خوزستان [مدونة رحلة راولينسون: جولة من زهاب إلى خوزستان]، ترجمه بالفارسية سكندر أمان اللهى بهاروند، طهران 1362 ش [1983م]؛ علي رزم آرا، جغرافياى نظامى ايران: لرستان [جغرافية إيران العسكرية: لرستان]، طهران 1320 ش [1941م]؛ محسن روستائي، "القبائل والعشائر اللرية: تقرير 1306هـ"، مجلة شقائق، السنة 1، العدد 1 (ربيع 1376 ش [1997م])؛ علي محمد ساكي، جغرافياى تاريخى وتاريخ لرستان [تاريخ لرستان، وجغرافيته التاريخية]، حرم آباد [تاريخ المقدمة 1343 ش [1964م]؛ محمد شاه بختي، عمليات لرستان: اسناد سرتيب محمد شاه بختي 1303-1306 ش [العمليات العسكرية في لرستان: وثائق اللواء محمد شاه بختي، 1924 و1927م] ط. كاوه بيات، طهران 1373 ش [1994م]؛ صديق صفى زادة، دانشنامه نام آوران يارسان [دائرة معارف المشهورين]، طهران 1376 ش [1997م]؛ جوانس فوفريه، سه سال در دربار ايران [ثلاث سنوات في البلاط الإيراني]، ترجمه بالفارسية عباس إقبال الآشتياني، طهران 1363 ش [1984م]؛ جلال الدين محمد المنجم اليزدي، تاريخ عباسى، يا روزنامه ملا جلال [تاريخ الشاه عباس الصفوي، أو يوميات الملا جلال]، ط. سيف الله وحيدنيا، طهران 1366 ش [1987م]؛ عبد الغفار بن علي محمد نجم الدولة، سفرنامه خوزستان [مدونة رحلة خوزستان]، ط. محمد دبير سياقي، طهران 1341 ش [1962م]؛ محمد رضا واليزادة معجزى، "قبيلة بيرانوند"، سالنامه دبيرستان بهار [حولية ثانوية بهار] (حرم آباد)، (1347 ش [1968م])؛

أحبي.....

/سكندر أمان اللهى بهاروند/